

اللقاء الرابع

تبيّن لنا وجود طرق كثيرة للمشاركة في
الحياة العامة مع يقيننا أن السياسة
تهيمن على كل محاورها.

- لقد توصلنا إلى حقيقة أكيدة، ومن خلال أكثر من مثال،
أن السياسة تهيمن على مظاهر الحياة العامة بأكملها،
وتدخل في كل ما يتعلّق بالحياة الاجتماعية... ولهذا،
فكل من يمارس السياسة - بدءاً من أعضاء الحكومة،
مروراً بالممثلين، مهما تفاوت مستواهم، وصولاً إلى
أعضاء الأحزاب السياسية - لا ينفردون في التدخل في
النقاشات العامة والتأثير على المجتمع. من منكم يستطيع
أن يذكر لي أسماء هيئات أخرى تتمتع بنزعة عامة، ولها
أثر على حياتنا المشتركة؟

- أهى الجمعيات؟

- نعم جيد جداً. إنها الجمعيات التي تتعدد أشكالها،

وتتنوع أهدافها، فمنها من يهتم بالرياضة، ومنها من يهتم بالنشاط الإنساني أو بالدفاع عن البيئة... لن أتوقف مطولاً هنا. فللجمعيات أثر قوي جداً ودور اجتماعي هام. فقانون عام 1901 يُعتبر من القوانين الأكثر أهمية في الجمهورية، فهو الذي وضع أسس تشكيل هذه الجمعيات، وتابع حسن سيرها. ولكن ألم تشعر فئات من المجتمع بحاجتها الملحة للإتحاد والدفاع عن مصالحها، حتى قبل أن يتم التصويت على هذا القانون؟ ومن هنا انبثق نموذج آخر لمنظمات ينطبق عليها التعريف الذي ذكرت آنفاً.

- ...؟؟

- لقد قرأتُم عنه، وتعلمتموه... فخلال القرن الماضي كانت هناك فئة من الناس تعمل ما بين العشر إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً، مقابل أجر أقرب ما يكون إلى البؤس. وبعد وقت قصير، أدركت هذه الفئة أن الأجر الذي تتقاضاه بسيط جداً مقابل عدد الساعات الطويلة التي تعمل خلالها. واتحدت هذه الفئات فيما بينها للدفاع عن حقوقها، وتحسين مستوى معيشتها. فما هو الاسم الذي أُطلق على هذا التحالف؟

— إنها النقابات!

— من يستطيع أن يذكر لنا أمثلة عن نقابات موجودة حالياً؟

— الـ C.G.T. و الـ F.O.

— نعم F.O. التي تعني القوى العاملة، أما C.G.T. وهي أهم نقابة بسبب عدد المنتسبين إليها.

— وماذا تعني هذه الحروف؟

— إنها تعني الاتحاد العام للعمل. ولكن ألا تذكرون أسماء نقابات غيرها؟ السيدة نوتا Notat، ألا يذكركم هذا الاسم بشيء؟

— الـ C.F.T.C.

— نعم، هذه السيدة ستكون سعيدة لو كانت تستمع إليكم الآن.

— إنها C.F.T.D. وليست C.F.D.T. فماذا تعني هذه الرموز؟

— إنه اتحاد العمل الفرنسي الديمقراطي الذي تشغل السيدة «نوتا» فيه مركز الأمانة العامة. وهناك أيضاً C.F.T.C. الاتحاد الفرنسي للعمال...

— المسيحيين.

- المسيحيين، مئة بالمئة. وهناك نقابة CGC القديمة (الاتحاد العام للبنى الاجتماعية)، والتي تُسمى اليوم الاتحاد الفرنسي للتعين. في البداية كانت نقابة «القوى العاملة» و«الاتحاد العام للعمل» مندمجتين في هيئة واحدة. وانفصلتا عن بعضهما مباشرة بعد الحرب. كذلك الأمر بالنسبة لنقابتي CFTD اتحاد العمل الفرنسي الديمقراطي و CFTC اتحاد العمال الفرنسي المسيحي. أما الانفصال الأخير فقد حصل داخل نقابة التعليم الرئيسية التي هي اتحاد التعليم الوطني. والتي تنافسها اليوم منظمة جديدة تدعى FSU كما ترون، فإن عالم النقابات متشعب جداً. والحياة ليست ذلك النهر الممتد والساكن. ولنعد إلى موضوعنا الأساسي: ما الهدف من إنشاء النقابة؟

- أعتقد أنها مجموعة من الناس تريد الإدلاء بآرائها. . .

- الدفاع عن مصالح أعضائها يأتي في مقدمة أولوياتها. وهذا يتم في كل شركة على حدة. من هنا ينطلق أساس تنظيمها - فمجموع تنظيمات القاعدة هذه هي التي تؤلف النقابة - وما هو السلاح الأقوى للنقابة لترجيح وجهات نظرها؟

- الإضراب .

- أكيد . فالإضراب يعني التوقف عن العمل والانتظار . وهذا يضر بمصلحة المؤسسة ، حيث توقف السيولة . . . وكذلك الأمر بالنسبة للعمال الذين نفذوا الإضراب ، فإنهم لن يحصلوا على أجورهم . لذا يجب الخروج من هذا المأزق واللجوء إلى التفاوض . في الغالب ينتهي الموضوع بالتسوية . . . يتم التوصل إلى اتفاق وينتهي الإضراب . فلكل مؤسسة مشاكلها الخاصة التي تنفرد بها . ولذلك يحصل الإضراب داخل مؤسسة ما بشكل منفصل عن باقي المؤسسات . ولكن في الوقت نفسه ، نجد هناك مشاكل مشتركة بين كل المؤسسات . فمثلاً؟ . . .

- ساعات الدوام الأسبوعية التي تبلغ 35 ساعة .

- إنه موضوع الساعة . ولكن هل هذا الموضوع يثير النقابات فقط؟

- كلا ، إنه يقلق الحكومات أيضاً .

- ماذا تعني بذلك؟

- مجلس النواب ، مجلس الشيوخ .

- الحكومة، مجالس النواب أي الأحزاب السياسية أيضاً. لدينا إذاً أمر يثير اهتمام النقابات بقدر ما يثير اهتمام الأحزاب. ونجد أنفسنا في خضم مشكلة أزلية، تتلخص بمعرفة فيما إذا كانت القواعد التي تُطبق داخل المؤسسات هي من نتاج المفاوضات الجارية بين النقابات وأرباب العمل، أم أنها نتيجة قرار سياسي تمّ اعتماده من قبل المسؤولين العموميين. وهنا تواجهنا مشكلة تفاوت الكفاءات بين العمال والتي يتم تسويتها بشكل منفصل لكل حالة على حدة... تبعاً للظروف وللقوى الراهنة في تلك اللحظة... فالمشكلة ليست فقط مشكلة تنافس أو تداخل بين النقابات من جهة - نقصد العمال مع رب عملهم - والتي تُسمى الفرقاء الاجتماعيين، وبين المسؤولين السياسيين من جهة ثانية. وتبقى عملية التحكّم بأنظمة التضامن هي الرهان الأبدي... من منكم يشرح لي معنى لفظ «تضامن»؟

- المشاركة.

- نعم، اللفظ يشمل معنى المشاركة.

- (بصوت واحد) أن يساعد الناس بعضهم بعضاً، يتعاضدون.

- نعم، ولكن لنحاول أن نتعمق أكثر. عندما تعطف على المتسوّل، ماذا تسمي ذلك؟

- إنه الإحسان.

- نعم، فالإحسان والتضامن هما أمران مختلفان جذرياً. يخضع الإحسان لمناسبات معينة، فضلاً عن أنه غير منظم. بينما يُفترض أن يكون التضامن منظماً ومستمراً. أيمكنكم ذكر بعض الأمثلة عن التضامن؟

- عندما نصاب بمرض ما. أنا مثلاً، تعرضت للتهاب الزائدة.

- فإذاً المرض مكلف. حتى أنه لا يمكن تخمين نفقات علاجه. وماذا حصل بعد ذلك؟

- لقد استوفينا حقنا.

- من قبل التضامن الاجتماعي. وهل هذا الضمان موجود منذ عهد بعيد؟

- كلا.

- متى أنشئت هذه المؤسسة؟

- عام 1945

- نعم، ظهرت هذه المؤسسة إلى الوجود عام 1945.

ولكن بعضاً من عناصرها كان موجوداً قبل هذا التاريخ . لماذا؟ لأن هناك فئة من العمال تنتمي إلى مؤسسة واحدة أو عدة مؤسسات ، وحدث جهودها وأوجدت تنظيماً يخولها مساندة بعضها البعض . ثم اتسع التضامن ، فأخذ يشمل كل المهن . وفي عام 1945 قال بعضهم : «سنحاول إيجاد نظام عام يشمل كل الفئات دون استثناء ، ويعود عليها جميعاً بالنفع» . حيث أن جوهر السياسة هو في النهاية تنفيذ المزيد من العمليات التضامنية بين جميع الناس . المبادرة الأولى للتضامن نلمسها في حالة المرض ، حيث أننا يمكن أن نجد اليوم أناساً قد يعجزون عن الحصول على العلاج اللازم ، نتيجة ارتفاع أسعار العقاقير ، لولا وجود مؤسسة الضمان الاجتماعي خاصة ما يتعلق بالتأمين الصحي . سيما وأن العالم اليوم يشهد تقدم الطب ، والعلاجات باتت باهظة التكاليف . فقبل ثلاثين أو أربعين عاماً ، كان الطفل الذي يولد قبل موعده بشهرين يتعرض للموت في أغلب الأحيان . أما اليوم ، ومع اختراع الأجهزة الطبية المتطورة ، التي يمكن لجميع فئات الشعب الاستفادة منها عن طريق منظمة الضمان الاجتماعي ، غدت الولادة المبكرة للأطفال أمراً مألوفاً . وتبقى هناك مشكلة تكاليف الإقامة في المشفى

والاستفادة من الأجهزة الطبية الآنفة الذكر. هذا يعني أنه لولا وجود التأمين الصحي لوجدنا الكثيرين محرومين من العناية الطبية المتطورة، فيما لو كان عليهم تدبر أمرهم دون اللجوء لهذه المؤسسة. فالمبدأ هو أن تقوم كل الفئات بدفع اشتراكها في هذه المؤسسة، ثم يتعين على الأصحاء العناية بالمرضى. وماذا لديكم كأمثلة أخرى عن التضامن؟

- المخصصات العائلية.

- بالضبط. يتم تقديم الدعم المادي للعائلات التي لديها أطفال. لماذا هي تحديداً؟ لأن هذه العائلات ستواجه صعوبات أكثر من تلك التي ليس لديها أطفال. وماذا أيضاً؟

- البطالة.

- نعم، تأمين البطالة. كيف تسير الأمور هنا؟ الأمر بسيط جداً. يقوم كل العاملين وأصحاب المؤسسات بدفع مبلغ معين كل شهر، ثم يُعطي العامل الذي فقد عمله نسبة معينة من أجره الذي كان يتقاضاه. بشكل يجنبه العوز. هل هناك مزيد من الأمثلة عن التضامن فيما عدا الأمراض والأسر والعاطلين عن العمل؟

- التقاعد .

- نعم . وهذا أيضاً هو موضوع الساعة . علامَ ينص نظام التقاعد؟ من يقوم بدفع المخصصات للمتقاعدين؟ إنهم العاملون أنفسهم . يتم اقتطاع جزء من أجر الذين ما يزالون على رأس عملهم وتوزيعه على أولئك الذين لم يعودوا قادرين على مزاولة لسبب ما ، والذين كانوا بدورهم يدفعون جزءاً من أجورهم ، عندما كانوا في أوج عطائهم . ومن هذه المرحلة تبدأ أسباب مشاكلنا التي نعيشها ، آخذين بعين الاعتبار ارتفاع متوسط العمر : فعدد المتقاعدين الذين يتقاضون أجورهم آخذٌ بالارتفاع ، في حين تنخفض نسبة القائمين على رأس عملهم ، والذين يجددون اشتراكهم . ومن هنا ينشأ خطر حقيقي للعجز . ولكن لتوقف برهة : يجب أن ندرك تماماً أنه يحق للنقابات المؤلفة من عمال وأرباب عمل ، بل ويتوجب عليهم إدارة مؤسسات التضامن هذه ، سواء منها المختصة بالمرض أو بالعجز ، أو بالعائلات أو بالبطالة ، لمجرد أنها شهدت تأسيسها . وبالمقابل ، ومع الأخذ بعين الاعتبار أهمية هذه المؤسسات لضمان التوازن الاجتماعي ، تعتبر السلطة السياسية نفسها مسؤولة عن هذه المؤسسات . سيما وأن هذه المؤسسات تطلب من

الدولة في أغلب الأحيان تسوية بعض أمورها المالية أو غيرها. في الحقيقة، لقد تمت تسوية هذا الصراع القديم، الذي نشأ بين الدولة من جهة والمؤسسات من جهة أخرى، عن طريق اتفاق صامت: فإدارة هذه المؤسسات مؤلفة من شركاء مدنيين ومسؤولين سياسيين في آن واحد. ومن ناحية أخرى هناك مؤسسات تضامنية تنحصر مسؤولياتها بالدولة فقط. عليكم إيجادها، سأساعدكم على ذلك. هل هناك أناس في فرنسا يتركون بدون مورد؟

— كلا هناك RMI

— وماذا تعني هذه الرموز؟

— الدخل...

— الحد الأدنى لدخل الاشتراك. وهذا أيضاً موضوع حساس. فعلى سبيل المثال هناك من يقول حالياً:

«إن مخصصات المشتركين في هذه المؤسسة مرتفعة جداً». بينما يدّعي آخرون عكس ذلك. ما هي حجة الفريق الأول؟ يقولون يجب تقليص مستوى دخل العاطلين عن العمل بشكل لا يتجاوز مستوى دخل القائمين على رأس عملهم. لذا يجب التمييز بين الحد

الأدنى لدخل الاشتراك والحد الأدنى للأجور. وعلى فكرة كيف يسمى هذا الأخير؟

S.M.I.C. -

- هذا يعني الحد الأدنى لأجور المهنيين القابل للزيادة. وبعبارة أخرى لا يمكن أن يكون أجر العامل أدنى من الحد المعين. لقد أفضنا بالحديث عن العائلات وعن الشؤون العامة حتى هذه الساعة، أي عن البلدية والمجلس العام، والمجلس الإقليمي والدولة. ألم نغفل عن شيء ما؟ كلكم يتناول طعام الغذاء هنا.

- نعم.

- وتجدون أحياناً اللبن المحلى بالعسل؟

- نعم.

- فمن الذي يصنع هذا النوع من اللبن؟

- إنها الشركات.

- نعم إنها الشركات. ففي الواقع جميع المنتجات التي نستخدم كالملابس، والسيارات، وأقلام الحبر، والشقق هي من صنع الشركات... تخيلوا أنه لو لم يكن هناك شركات لوجدنا أنفسنا وحيدين، عراة في صحراء مدقعة!

أن يكون لدينا دولة شيء جميل ، وأن نشكل عائلة شيء مريح ، ولكن لو لم يكن هناك شركات لضبط هذه الأمور ، أو لتقديم الخدمات ، لانعدمت الموارد . ولما كان هناك أثر للضرائب . وبالتالي لما وجد أي نشاط عام أو تآزر . لذا لا بد من أن نتوقف عند المؤسسات ونتكلم عنها . ما الذي يلزمنا لتأسيس شركة ما؟

- المال .

- وما الاسم الذي نطلق على المبلغ الذي نوظفه في الشركة؟

- إنه رأس المال .

- نظرة ثاقبة . فبموجب رأس المال هذا ، سنتمكن من شراء الأبنية والمكنات اللازمة لخط الانتاج . هل هذا يكفي؟

- كلا .

- يلزمنا بالتأكيد طاقم موظفين ، ليدبر كل ذلك يعني ...

- مأجورين .

- ولم المأجورون؟ لأنه يجب أن نعطيهم بدلاً مقابل عملهم . وهذا ما يسمى بالأجر - جيد - عادت الأمور

إلى نصابها. هل بمقدور السلطة السياسية أن تبقى بعيدة عما يجري داخل المؤسسات؟

- كلا.

- بالتأكيد لا تستطيع. فالأمر غاية في الأهمية. يجب قبل كل شيء إيجاد شروط تشغيل وتطوير لهؤلاء الأشخاص. وإذا كانت المؤسسات تعود لملكية خاصة، يجب أن تفرض عليها الدولة عدداً من القواعد، لا سيما الصحية منها، وتأمين الكفاءات. هل هذا كل شيء؟

- كلا فهناك قوانين تخص المراهقين، على سبيل المثال.

- بالضبط. فهذه القوانين تحظر تشغيل الأطفال في فرنسا. إذاً هناك جملة من القوانين تهتم بتنظيم العمل. هل كل الدول تمنع تشغيل الأطفال؟

- كلا.

- للأسف لا. فهناك الكثير من الدول التي تبيح تشغيل الأطفال لديها.

- في الهند.

- نعم. فيما عدا قانون تشغيل الأطفال. ماذا لدينا أيضاً؟

- العمل ليلاً.

- وماذا أيضاً؟

- عدد ساعات العمل الأسبوعي . . .

- لقد أثّرنا هذا الموضوع عندما تكلمنا عن الساعات الخمس والثلاثين الأسبوعية . . . في الواقع: كل ما نشير إليه الآن من علاقات الدولة مع المؤسسات، ورأس المال، والآلات، والمأجورين، والإنتاج. كل ذلك ينضوي تحت اسم واحد. ما هو؟

- إنه الاقتصاد.

- جيد جداً، إنه الاقتصاد. لدي سؤال إضافي حول هذا الموضوع: هل انحصر دور الدولة آنفاً فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية، بوضع القواعد، وجباية الضرائب فقط؟ ألم تتحوّل هي بدورها إلى رئيس مؤسسة؟ لقد سمعنا الكثير عن «عملية تخصيص» بنك الائتمان في مدينة ليون الفرنسية. فإذا لزم الأمر تخصيص هذا البنك، فذلك يعني أنه كان هيئة عامة تابعة نسبياً للسلطة السياسية. وبذلك تكون الدولة قد لعبت دور مدير مصرف. وهذا نشاط خاص إن وجد! وإلى جانب نشاطها في المصارف، ما هي الأعمال الأخرى التي مارستها لمدة طويلة؟

- تصنيع السيارات .

- من أي نوع؟

- رينو Renault

- نعم ، كانت رينو مؤسسة عامة تعود ملكيتها للدولة .
فالدولة كانت ، إلى جانب مسؤولياتها ، مصنّعة
للسيارات . حتى أنها كانت تنتج أجهزة التلفاز والطناجر .
ولم فعلت كل ذلك؟

- من أجل جني بعض الربح .

- أتدرون؟ هذه الأعمال كانت غالباً ما تكبّد الدولة أكثر
مما تحقق لها المكاسب . . . كلا هناك أسباب أخرى ،
أحياناً كان الأمر صدفة ، كما كان الحال في شركة رينو
للسيارات . حيث تمّ نزع ملكية مدير الشركة ، الذي كان
شريكاً لغازي البلاد إبان الحرب ، لصالح الدولة . أحياناً
أخرى ، كان الأمر تطوعاً ، كما في المصارف . ويجدر
التساؤل عن سبب لعب المصارف هذا الدور الهام في
نظر الدولة . ما الهدف من إنشاء المصارف؟

- لإقراض الأموال .

- إقراض الأموال من أجل . . .

- التجارة... -

- أي رأس المال. فبشكل عام، عندما أقول أن أحدهم جاء برأسماله، يكون في الحقيقة، قد اقترض الجزء الأكبر منه من أحد المصارف. ويتحتم على هذا الأخير تحديد موقفه: هل يساهم في هذا المشروع أم لا، حسب طبيعة هذا المشروع. ولذا كان رأي الدولة في الماضي: «يعود سبب التدهور الاقتصادي الذي نعاني منه إلى تمتع المصارف عن إقراض المال بسهولة. لذا سأتكفل بالموضوع بنفسي». نحن هنا أمام مشكلة سياسية على درجة من الأهمية ألا وهي: «المدى الضروري لانغماس الدولة في الاقتصاد». ونتيجة لذلك أصبح السبب في حصول شرخ في السياسة الفرنسية لمدة طويلة. أحد أبرز أسباب الانشقاق بين حزبي اليمين واليسار... بالمناسبة لماذا نتكلم عن هذين الحزبين؟

- ...؟؟ -

- لأن النواب كانوا يتخذون أماكنهم في مجالس البرلمان تبعاً لأفكارهم. هناك من كان يجلس إلى يسار الرئيس وآخرون إلى يمينه. وشاعت التسمية منذ ذلك الحين.

علماً أن الاختلاف في وجهات النظر بين هذين الحزبين

قد تضاعف كثيراً. فاليوم، لا يوجد نظام واحد لديه إجابة عن كامل الأسئلة المطروحة في السياسة. وبتنا نفتقر إلى الكتب أو البرامج التي تقدم كل الإيضاحات والحلول. يجب ابتداء الإجابات واكتشافها. ومن هنا، تأتي الصعوبة في ممارسة السياسة في أيامنا هذه.